إزدهار الديانة الكاثوليكية في انكلترة

بقلم الاب يوسف جباره اليسوعي (تتمة لما سبق)

انَّ من يتصفَّح اليوم كتب التعليم المسيحي المثبتة في بعض ابرشيات مذهب الاصلاح يجزم أنها قد نُقلت كلمةً فكلمة عن كتبنا الكاثوليكية ولا يشعر بموضوع خلافٍ الَّا في ما يرجع الى السلطة البابوية ولكن بعض لاهوتيّيهم قد اقرّوا برئاسة معنوية خُصَّ بها الحبر الاعظم على سائر الاحبار برئاسة تنطبق (حسبما زعموا) على منطوق القضايا التسع والثلاثين المجتوية قانون الايمان الابروتستاني. ولم يكتف الانكليكانيون باتّباع الحقائق المحدَّدة في المجامع بل ترعوا الى عباداتنا وهشّوا باقتباسها. ولذا اخذوا عنَّا العبادة لسرّ القربان التي كانت عندهم في غاية الاهمال والدثور ورضوا بالسجود للأعراض المقدَّسة اذ يؤمنون الآن بان السيّد المسيح موجود فيها وجودًا حقيقيًّا. ونشأت جمعيات يقضي اعضاؤها حياتهم لنشر هذه العبادة وللتكفير عمَّا يلحق من الاحتقار والهوان بهذا السرّ موضوع محبتنا وواسطة خلاصنا. وما عداها ترى شركات تقويّة تسمَّت باسم الصليب المقدَّس والوردّيّة المجدّدة. وفي بعض الابرشيات يحتفلون بشهر قلب يسوع وبالشهر المريمي احتفالاً شائقًا يمكثون في مدارسها على تمارين خصوصية لاختيار من الورع

ولا تحسبنَّ ان الاماتة المسيحية مردودة عندهم فالبعض آلوا على انفسهم ان يحفظوا الاصوام والقطاعات المرسومة. واكثر هذه الانفس تنكبُّ على كتب اللاهوتيين والمرشدين الكاثوليكيين سعيًا وراء قوت روحيّ يؤيد قواها ويعرّج بها الى درجة الكمال. فلذلك يتداولون عادةً مؤلفات القديسين فرنسيس دي سال وفرنسيس الاسيزي والآباء اليسوعيين لالمان وروردريكس وغرو (Grou) وتآليف فنلون (Fénelon) ومن شاكلهم. ثمَّ ان امر الزيارات (pélerinages) لم يفتهم. فهم يجارون الكاثوليكيين مجاراةً كما شوهد ذلك منذ بضع سنين في عيد القديس كولمبا (Columba) في جزيرة ايونا (Iona) وفي عيد القديس اغسطينوس في إبس فليت (Ebbs Fleet). وكذلك صار عمّة الدين في انكلترة يتشرَّفون باتخاذ اسم «كاهن» الذي دفنهُ الاصلاح في لحد الخمول وهم يرون الآن انَّ هذا الاسم يقضي على صاحبه بالتسربل بحلّة الفضيلة ويقلّده سلطة سماوية عزَّ نظيرها. هذا ما حمل بعضهم على الظهور باللباس الرهباني في المدن والقرى لكي

يعانوا للناظرين زهدهم في الدنيا وتجردهم عن ملاذها. وآخرون قد اقلعوا عن الزواج وآثروا البتولية واخذوا يحثون زملاءهم على التخلق باخلاقهم. وبما ان الحياة الكهنوتية تقتضي استعداداً طويلاً ودربةً عظيمةً في امور الدين فقد أنشئت في ابرشيات كثيرة للمترشحين لدرجات الكهنوت مدارس لاهوتية تشبه مدارس اوربة الاكليريكية بعض الشبه. ولكي يكون عنصر الحياة فيها سليماً من كل رَنَق قد صرفوا عنايتهم الى تعميم الرياضات الروحية ليستمدُّوا من معينها قوةً ونضارةً

ولقد بلغ مني الذهل مبلغهُ لمَّا سمعت انهم قد رمّموا اديرة شتَّى كان الاصلاح سعى بخرابها فاقاموا فيها رهباناً دعوهم بنديكتيين وفرنسيسيين وراهبات المحبة وراهبات الفقراء والرحمة وما ضارعهنَّ منهجاً. وقد اتخذوا لانفسهم البسةً كالبسة الكاثوليكيين وفي بعضها يبرزون النذور الرهبانيَّة ويمارسون التقشُّفات ويقضون ظلَّ النهار ما بين فروض الصلاة واعمال الرحمة

وفي لندن خُصَّت اديرة بمثل الرياضات يأتيها من اراد من النساء العالميَّات للخلوة بضعة ايام والتهذيب بامر الخلاص الابدي. واذ سأل المسيو طيرو دانجان (Thureau d'Angin) وعن كتابه لخَّصنا جزءاً من هذه المقالة) (١ احدى الرئيسات القائمة بادارة تلك الاديرة عن اي كتاب يتخذنهُ لهنَّ دليلاً في هذه الاجتماعات النسكيَّة اجابتهُ قائلةً: «لنا كتاب تمارين القديس اغناطيوس دي لويولا منشئ الرهبانيَّة اليسوعيَّة الذي تغني شهرتهُ عن وصف واصف»

فترى مما سبق صحَّة قولنا في اوَّل مقالتنا ان المذهب الانكليكاني نبذ تعاليم الاصلاح الموهوم وكاد يمرّ بكل تعاليم الكثلكة؟ . . . ولقد احسن الكردينال ڤون رئيس اساقفة انكلترة اذ قال ما يلي في رمسغات (Ramsgate) منذ خمس سنين في تلك الحفلة البهجة التي اقامها الانكليز الكاثوليكيون تذكاراً للثلاثة عشر جيلاً التي عبرت ليوم وطئ اديمَ انكلترة القديسُ اغسطينوس مبشِّر بريطانية بالانجيل: «لا يسعنا الا ان نطرئ على رؤوس الملإ باسان الشكر والصدق رجالاً كثيرين كانوا قبلاً اعداء للدين الدَّاء فاضحوا اليوم اعوانهُ وانصارهُ المخلصين. ورجالاً دكُّوا الهياكل وجرَّدوا الكنائس من حلاها فشيَّد نسلهم اليوم المذابحَ واغناها. ورجالاً

(١ cf. Introduction, page XXXV à XLII

نبذوا كخرافة سرّ الاعتراف فأمسوا اليوم معترفين. رجالاً اوسعوا القداس شتماً فشرّفوا اليوم باقامته. رجالاً نبذوا السلطة البابوية فاصبحوا في عهدنا هذا بتلك السلطة متمسكين ولحقوقها مدافعين. يا للعجب مكبّرو الصور قد نصبوا على المباكل تماثيل العذراء والقديسين... حقًّا ان التغيير والاهتداءات التي جرت في انكلترة ليس لها شبه في العالم المسيحي كله في عصرنا الحاضر »

ولقارئ يسألنا عن الاسباب الجوهرية التي احلّت الكنيسة في الديار الانكليزية عرش الفخار ورطّدت اركان سلطانها في الالباب والافكار فما لنا الاّ ان نُطرفه بما سطره الكردينال ويسمن في كتاب انفذه الى اساقفة فرنسة سنة ١٨٤٥ قال: « لا يزعمنّ احدٌ ان هذا النجاح هو فعل ايدٍ بشرية . لا لعمري ان الله وحدَه قد اتمّ كل ما تراه اعيننا من المعجزات. فنعمتهُ الالهية وظروف خارقة قادتها العناية باصبعها الالهية هما الوسيلتان اللتان اتخذهما ربّ العالم لاحداث هذه العظائم في كنيستنا . وعليه اني اشهد ان ما من قدرة ولا فطنة او حذاقة او حكمة بشرية تستطيع ان تنسب لذاتها الشرف في نشر ظلال الكنيسة هذا الانتشار في بلادنا . بل ان كل تداخل بشري لم يكن الاّ ليثبّط غالباً مجرى هذه الاهتداءات الفائقة المثال »

وقال بعده الكردينال نيومن في اعادة الهيئة الكنسيَّة وتجديد نظامها في انكلترة وكان ذلك من انجع الوسائل لتكثير الاهتداءات ورفع منار الديانة في تلك المملكة ما مفادهُ :

« ان رجوع هذه الهيئة وتثبيتها لهو من الامور التي لم تخطر ببال احد وهي عندي لا شكّ الحادثة العظمى في جيلنا الحالي. اقول والحق يقال لو كان قام رجل فتنبأ منذ نصف قرن ان هذه السلسلة الكنسيَّة ستتّصل حلقاتُها بعد مضي خمسين سنة لكان عُدَّ جاهلاً وفاقد العقل. لان هذا التغيير الكامل كان يقتضي اعجوبة نادرة لم يُؤمل في زماننا حدوثها... وهذه الاعجوبة قد تمّت اليوم والحمد لله وقد زال عنّا كل دهش وحيرة... قل لي رعاك الله هل لها من سابق في صفحات التاريخ ؟ » (The second spring, Newman)

وقد اثبت صادع شهادتهما الكردينال ڤون وأتمّ به من شاهد عالم باسرار كنيسته واحوال رعاياه فقال: « لم ننل ما نلناه الاّ بواسطة الصلاة الحارّة المتواترة والتعبُّد

للقربان المقدس. فقد اقنا شركة بلغت اعضاؤها خمسمائة كاهن تقدّم كل سنة ٢٣٠٠ قداس لاجل رجوع انكلترة الى ديانة اجدادها...»

فلا بدع اذا شاهدنا هذه الآيات العجيبة والامثال الغريبة فان العليّ الذي سمح بحكمته الجزيلة لانكلترة ان تقع في اشراك الاصلاح وسوء عقباه قد تعطّف على شعبه وسمع صلوات ما برحت تخترق حجاب السماء منذ ثلاثة اجيال فمدّ يده القديرة لنشله من وهدة الظلام والشرور. فعسى ان تضرعاته المتواصلة تعجّل ذلك اليوم السعيد الطالع فتتألب من كل فجّ الخراف الضالّة الى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية وتسمو لصوت راعيها الصالح فتتوفّر اسباب الخير وتتدفّق عيون البركات في مراعٍ وراءها الجنّة الشهيّة والغبطة السرمديّة...

(تمّت)

مقالع مصر ومعادنها

نظر في تركيب ارض مصر الجيولوجيّ للاب بطرس دي ڤراجيل اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٢ المقالع الحديثة

بعد كلامنا عن مقالع مصر القديمة في ايام الفراعنة ثمّ في عهد اليونان والرومان لا نرى بُدًّا من ذكر المقالع الحديثة التي أُنشئت في أيام الدول التابعة

صارت مصر بعد الرومان في يد ملوك بوزنطية فبقيت تحت سلطتهم ثلاثة قرون الى ان فتحها العرب. وفي هذه المدّة الطويلة تقهقرت احوال مصر فلم يكن لولاتها همّ بالبناء وعليه فلا نجد اثرًا يُذكر لذلك العهد بل تلفت ابنية عديدة استولت عليها يد الخراب لتهامل ذوي الامر في ترميمها

وفي سنة ٦٤٠ دخلت مصر تحت حكم العرب فشيّد عمرو بن العاص فاتحها مدينة الفسطاط على ضفّة النيل بازاء الاهرام شماليّ منف القديمة اما موادّ ابنية الفسطاط فالظنون انّ عمرًا استمدّها من مقالع طُرّة

ثم استولى احمد بن طولون على مصر في القرن التاسع للميلاد واليه تُنسب الدولة الطولونيّة ومن آثاره البنائيّة مدينة مصر القاهرة بناها شماليّ مصر العتيقة وانشأ فيها